التعليم الفعال في منظومة ابن باديس التعليمية

د/سارة بوفامة. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

الملخص:

إن غاية التعليم الأولى هي تكوين فرد صالح ومصلح في مجتمعه ،وقد تحققت هذه الغاية في المدرسة الباديسية ، بتكوينها جيلا من الجزائريين المتعبين بروح العلم والعمل ،و تعدد أدواتهم لبلوغ هذه الغاية وتكاثفت مما يصعب معه حصرها في مقال واحد. وإنما سأسلط الضوء على العلاقة بين ماقدمته اللسانيات التعليمية اليوم من طرائق تعليمية تسهم في التكوين المستمر والتكوين المتكامل والتكوين الفعال .والتي تتقاطع مبادؤها وأدواتها ووسائلها وأهدافها مع طريقة ابن باديس التعليمية ،وسنقف في هذه الورقة عند الحلقة المشتركة بينهما سعيا منا إلى تمثل نماذجها في مدارسنا وجامعاتنا.

الكلمات المفتاحية:

التعليم الفعال–ابن باديس–التعليمية–طرائق التعليم

Abstract :

The primary aim of education is to cultivate an individual who is virtuous and beneficial to his society. This objective has been realized in the Badisian school by forming a generation of Algerians imbued with the spirit of knowledge and work. To achieve this objective, their tools have become diverse and intensified, making it challenging to encapsulate them in a single article. However, I will shed light on the relationship between the advancements in didactic linguistics today and the didactic methods they offer, which contribute to continuous development, comprehensive learning, and practical training.

Among these comprehensive methods is a project-based approach whose principles, tools, means and goals intersect with the Ibn Badis didactic method. This paper will focus on the common ground between them, aiming to embody our models in our schools and universities

Keywords: **Effective education –ibn basis– didactive–education methods**

مقدمة:

عاشت الجزائر على مستوى الفرد أو المجتمع حالة من الركود المعرفي والخلل العقدي والضياع الاجتماعي والعوز الاقتصادي والركون إلى التقليد والزهد في التفكير، ساهم في هذه الحالة عوامل عديدة تتمحور جميعا حول السياسة الاستدمارية التي تجاوزت السيطرة على المكان إلى الحجر على عقل الإنسان . وأولى أدواتهم في بلوغ هذا الهدف سياسة التعليم التي تنوعت بين التجهيل من جهة، تخصيص مستوى تعليمي أول للفرنسين ومستوى تعليمي أدنى للأهالي من جهة أخرى، حصر التعليم المسجدي في حفظ القرآن والمتون دون تدبر أو تحليل.

وقد سار التعليم المسجدي على هذا النحو عقودا من الزمن ،بل وحاد عنه إلى الانطواء تحت جبة الطرقية التي في أغلبها كانت غارقة في البدع والخرفات إلى درجة إقصاء النظر في القرآن الكريم والتعبد بأول الشيخ.تتصف بحالة من الجمود الفكري والمنهجي وتسلط الشيخ وتقديسه .

وقد هيأ الله لهذه الأمة رجالا يؤمنون بالعلم والعمل ، فعكفوا على تكوين أنفسهم أولا وانطلقوا في العمل المستمر والفعال في مجتمعهم ، وأول أدواتهم كان العلم وانتهاج سياسة تعليم عربي حر بأهداف تجديدية ومناهج جديدة وأدوات وطرائق مغايرة. كل هذا وغيره أسهم بشكل فعال في بناء فرد جزائري جديد ضمن مجتمع جديد رؤيته تنطلق من رؤية القرآن الكريم .

إذن يمكننا ان نطلق على هذا التعليم مصطلح التعليم الفعار النشط في مقابل التعليم التقليدي الذي كان يتلقاه القلة القليلة من المجتمع الجزائري.

1. مفهوم التعليم الفعال:

يرتبط التعليم الفعال بقدرة المدرس وإبداعه في إحداث الإثارة العقلية والفكرية لدى التلاميذ ،بالإضافة إلى العلاقة الإيجابية بين المدرس والتلاميذ وأثرها النفسي والعاطفي في تحفيزعلى التعلم[1] "إذ يعد المعلم الركيزة الأساسية في العملية التعليمية فعليه يقع العبء الأكبر في تزويد الطلاب بكل ماهو مستحدث من حقائق ونظريات وقوانين وتشكيل اتجاهاتهم على نحو يمكنهم من التأقلم مع التغيرات الراهنةوالتغيرات المستقبلية"[2]

- ✓ **خصائص التعليم الفعال:**

التعليم الفعال تعليم تشاركي مثمر يتجاوز العلاقة الأفقية معلم ـ متعلم، التي تعتمد على التلقين والإلقاء المباشر ثم استرجاع المادة الملقنة لتقييم مستوى الحفظ.

ومن العناصر المهمة في التعليم الصفي الفعال:"المعلم الفعال،البيئة المدرسية،المؤثرات الخارجية،خصائص المادة التعليمية،خصائص المتعلم."[3] ومراعاة البعد المعرفي والبعد السلوكي والبعد البيئي. وسنعمل في هذا البحث على مقاربة استراجية ابن باديس فب بناء منظومته التعليمية ومقاربتها بما قدمته استراتيجية التعليم الفعال.

2. منهج ابن باديس وطريقته التعليمية:

- ✓ الاعتماد أولا على القرآن الكريم :وهو في هذا مجدد ومصلح للبدع التي شاعت في المجتمع الجزائري وماجاوره من انتشار الخرافات والمبتدع في العبادة والتفكير، من آليات ابن باديس في تغيير النفوس وتحرير العقول تفسيره للقرآن الكريم يقول في ذلك البشير الإبراهيمي: "وله في القرآن رأي بنى عليه كل أعماله في العلم والإصلاح والتربية والتعليم، وهو أنّه لا فلاح للمسلمين إلا بالرجوع إلى هديه والاستقامة على طريقته، وهو رأي الهداة المصلحين من قبله"[4].
- ✓ أسلوبه في عرض أفكاره: إن المطلع على مجالس التذكير أو الكتابات المنشورة لابن

---

[1] إبراهيم مهدي الشلبي: التعليم الفعال والتعلم الفعال:آراء في التدريس وأدوار المعلم ومسانديه والأسرة في تحقيق التعليم الفعال، مطبعة المعارف،بغداد، العراق،ص

[2] التدريس الفعال: عفت مصطفى الطنطاوي.دار المسيرة،عمان، ط3،2013،ص9.

[3] التعليم الفعال الماهية والمؤشرات الفعالة والاستراتيجيات البيداغوجية:مولاي المصطفى البرجاوي.

[4] مجالس التذكير، مج1، ص12.

باديس يرى ذلك التسلسل المنطقي في عرض الأفكار والتدرج المدروس من عنصر إلى آخر فيفضي بك من فكرة إلى فكرة مكونا سلسلة من المعلومات والتوجيهات المترابطة يتنقل فيها من الجزء إلى الكل في قالب تعليمي محض، يراعي مستويات المتلقين، ولا يخلو من التمثيل والاستشهاد من الكتاب والسنة النبوية وأقوال السلف والشعر والأمثال، ويحرص على الدقة والموضوعية واللغة السهلة الواضحة دون الوقوع في استعمال العامية، إلا في بعض المواضع القليلة جدا والتي تظهر البعد الواقعي والاجتماعي لتفسيره، إذ يلجأ إلى بعض الأمثال الشعبية والعبارات المتداولة عند العوام مثل: "ربي وسيدي الشيخ" وكذا في تبيان بعض الأقوال الخاطئة التي يقولها المجتمع ظنا منه أنه يحسن صنعا، وجهلا منهم أنها أقوال شركية، فكان ورودها في المجالس ضروريا حتى يتجنبها الناس ويتفطنوا لأخطائهم.[5]إذاعتمد ابن باديس في عرض أفكاره على التدرج والتسلسل المنطقي، فلا يفرغ من عنصر إلا ويربطه بما بعده، مع اختيار الألفاظ الواضحة، والأسلوب البسيط، ليصل إلى أكبر عدد من الجماهير.

- ✓ منهجه في تربية النشء: وقد سطر لذلك منهجا لتربية النشء وطريقة خاصة رأى فيها النجاعة والقدرة على تحقيق أهدافه من وراء مسيرته التعليمية يقول في هذه الطريقة البشير الإبراهيمي:" وكانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا في المدينة، في تربية النشء، هي ألا نتوسع له في العلم، وإنّما نربيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلاميذنا".[6]

إذن فالطريقة التي تبناها ابن باديس ورفاقه في رحلة النضال الفكري القائمة على التربية والتعليم تبين "حرصه على الكيف أكثر من حرصه على الكمّ، يرى التركيز على الفهم وإعمال الذهن وتشغيل قوى المخيلة، أكثر

---

[5]تفاعل الحقول الدلالية النحوية في مجالس التذكير :سارة بوفامة. رسالة دكتوراه تخصص لغة عربية ودراسات قرآنية، كلية الآداب والحضارة الإسلامية ،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ص

[6]تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: عبد الحميد بن باديس.اعتنى به وخرج أحاديثه وآثاره أبو عبد الرحمن محمود. دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر،1432هـ-2011م، ط2، مج1، ص12.

من شحن الذاكرة."[7]

- ✓ مراعاة احتياجات المجتمع ومتطلباته : ركز ابن باديس على هذه النقاط لتكون مدخلا لإقناع النخبة المثقفة باللغة الفرنسية، فنجد حرصه على إظهار الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وتفسيره لآيات السنن الكونية وخلق الإنسان وبداية الخلق وعرضها على ما وصل إليه العلم الحديث:" لنقف خاشعين متذكرين أمام معجزة القرآن العلمية، ذلك الكتاب الذي جعله الله حجة لنبيه وبرهانا لدينه على البشر مهما ترقوا في العلم، وتقدّموا في العرفان."[8]

ويقول ابن باديس في تفسير قوله تعالى:**[وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آَيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آَيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آَيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا]** [الإسراء12]

وكان الليل والنهار بتعاقبهما مقدرين بأوقات متفاوتة بالزيادة والنقص في الطول والقصر على نظام محكم وترتيب بديع، بحسب الفصول الشتوية والصيفية، وبحسب الأمكنة ومناطق الأرض، والمناطق الاستوائية، والقطبية الشمالية والجنوبية، وما بينهما، حتى يكونا في القطبين ليلة ويوما في السنة، ليلة فيها ستة أشهر هي شتاء القطبين، ويوم فيه ستة أشهر هو صيفهما. فهذا الترتيب والتقدير والتسيير دليل قاطع على وجود خالق حكيم قدير لطيف خبير."[9]

3. تحديد الهدف من التعليم وتعميمه على الشركاء الفاعلين الاجتماعيين لبلوغه:

- ✓ **الشريك الاقتصادي:**

تعددت نداءات ابن باديس للمجتمع الجزائري لأجل المشاركة في النهوض بالحركة التعليمية في الجزائر في كل فرصة ملائمة لذلك، ومن النداءات المباشرة الصريحة المنشورة في البصائر في يوم 11ديسمبر 1936م،

---

[7] دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على اللغة العربية وأثره في الهوية اللغوية ج1 ص 416.

[8] مجالس التذكير ،مج1،ص77.

[9] مجالس التذكير ،مج1،ص154.

بعنوان " نداء وبيان إلى الأمة المسلمة الجزائرية بالوطن وخارجه ،وجميع المحبين :محبي الخير للمسلمين"[10].

وهو عبارة عن خطبة ذات طابع حجاجي تظافرت فيه الحجج بين النقلية والعقلية واللغوية التداولية لأجل إقناع المتلقين الذين عددهم في العنوان ، ـ لإقناعهم ـ بالمشاركة المادية والمشاركة الاجتماعية الفاعلة لتحقيق الغاية الكبرى من التعلم .إذن فابن باديس في خطبته هذه يشحذ هذه الحجج بغية الإقناع العقلي من جهة والتأثير النفسي من جهة أخرى .لتوعية المجتمع بدوره المفروض عليه تجاه العلم وطلبته.

دراية ابن باديس بطبيعة المجتمع الجزائري وذهنية الفرد الجزائري وإيمانا منه بالعمل التشاركيي فهو يشارك المحيطين به في كل تفاصيل مشروعه الإصلاحي الذي قوامه التفقه في الدين، إذن فهو في هذه الرسالة التواصلية التعليمية يشارك العام والخاص قيمة التعليم وهدف التعليم بالاستدلال من القرآن والسنة فالواقع الاجتماعي.

ثم يعرض احتياجات طلبة العلم ويدعو الشعب الجزائري المسلم الكريم للمساهمة في خدمة الشبان حملة القرآن الذين" قد هبوا هبة رجل واحد لطلب العلم والتفقه في الدين ، يحملون الإيمان في قلوبهم والقرآن العظيم في صدورهم ،والروح الجزائرية المسلمة في لحومهم ودمائهم لا يقصدون إلا أن يتعلموا فيعلموا ويتفقهوا فيفقهوا ،ولا يرجون من ذلك إلا رضا الله ونفع عباده.

استهل المقال بقوله تعالى :" فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذ رجعوا إليهم لعلهم يحذرون." التوبة 122 وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

1. ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة
2. الدال على الخير كفاعله
3. والله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه
4. قال تعالى: من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا

بعد الآية القرآنية والأحاديث الثلاث يقف ابن باديس مناديا :" أيها الشعب المسلم الجزائري الكريم"

[10] الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره :عمار طالبي.ج2،مج3،ص218.

فوصف الشعب الجزائري بالمسلم الكريم وهذه خصوصية يستدعي حضزرها في هذا المقام تحفيزا له ودفعا به للإنفاق في باب العلم .

ثم يواصل قائلا:" تالله لن تكون مسلما إلا إذا حافظت على الإسلام ولن تحتفظ عليه إلا إذا فقهته، ولن تفقهه إلا إذا كان فيك من يفقهك فيه ولهذا فرض الله على كل شعب إسلامي أن تنفر منه طائفة لتتفقه في الدين وترجع إلى قومها بالإنذار ، فبذلك يرجى لهم الرجوع إلى الله ،وماهو إلا الرجوع من الضلال إلى الهدى ،ومن الباطل إلى الحق ،ومن الاعوجاج إلى الاستقامة.ومن الشقاوة إلى السعادة ومن النقص إلى الكمال،وقد بين على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أن طرق العلم هي طرق الجنة ،فمن سلك طريق هذا سهل له طريق ذاك."[11]

إن ما يصبو إليه ابن باديس من هذه المشاركة هو تعميم الوعي ونشره بين الجزائريين جميعا على تنوعهم ، ليصبح طلب العلم وخدمة طلابه فكرة مشتركة بين الجميع، يجتهدون لبلوغها ويتنافسون فيها. هذه الحركة الفاعلة كانت بصيص الأمل لتحرير الجزائر. وقد ربط ابن باديس في خطاباته العلم بالنجاح الأخروي ولكنه صرح بغاية آخرى كان يكتمها في نفسه وهي تحرير الجزائر وهو يدعو المجتمع دعوة ضمنية إلى التسلح بالعلم لبناء الدولة القوية ثم حمايتها بالسيف لأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة والقوة الحقيقية هي العلم.

- ✓ **الشريك التربوي**:أسس ابن باديس مؤتمر المعلمين الأحرار وهو مؤتمر سنوي يلتقي فيه المعلمون الأحرار من الجزائر كلها يتدارسون طرائق التعليم ومناهجه والمواد التعليمية وكل ما له علاقة بالمنظومة التعليمية من قريب أو بعيد ،ولا يتوانى ابن باديس في دعوة أي معلم دون إقصاء ،لدرجة تقديم دعوة عامة في مجلة البصائر سبتمبر 1937، " لحضور مؤتمر رجال التعليم العربي الحر تحت إشراف جمعية العلماء بنادي الترقي بالجزائر يومي الأربعاء والخميس الثني والعشرين والثالث والعشرين من شهر سبتمبر لتبادل الآراء فيما يهم التعليم العربي الحر ومدارسه ومساجده ونظمه وأساليبه، والغاية المنشودة من ذلك هي التوصل إلى توحيد مناهج التعليم العربي، فعلى إخواننا الأساتذة القائمين بهذا النوع من التعليم أن يحرصوا كل الحرص على شهود هذا المؤتمر.

والواجب أن يعدوا من الآن خلاصة آرائهم في ضمن تقارير تقدم للمؤتمر.

---

[11] الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره ،ج2،مج3،ص218–220.

وهاهي المسائل التي نرجو منهم أن يتقدموا إلى المؤتمر بآرائهم فيها:

- وسائل توحيد التعليم
- أسلوب التعليم
- أسلوب تربية الناشئة
- خلاصة تجاريبهم في التربية والتعليم
- الكتب ،وهل الأحسن اختيار كتب مصرية أو تأليف كتب تتفق مع الروح الجزائرية.
- رأيهم في تعليم البنت المسلمة ووسائل تحقيقه.
- التعليم المسجدي ووسائل تنظيمه وترقيته.
- رأيهم في الوسيلة التي نعيد بها المرأة المسلمة سيرة سلفها من تلقي العلم.
- تقارير مفصلة لدرجة إقبال الأمة على التعليم بأقسامه السابقة(كل في جهته)[12]

4. أنواع التعليم في المنظومة الباديسية:

✓ التعليم العام والتعليم الخاص:

من الحكمة التبليغية التي تميز بها ابن باديس اختيار المادة المعرفية المناسبة لمجموعة المتلقين لها،فهناك دروس عامة يحضرها الجميع دون قيد ،تكون غالبا المادة التفسيرية التي كان يلقيها بين صلاتي المغرب والعشاء في جامع سيدي الاخضر، يكون الدرس فيها مواتيا لتنوع المتلقين فيختار فيه لغة بسيطة قريبة لعوام المتلقين.

هذه السعة وهذا التعميم يمكن أن يوهم إلى الأذهان بفكرة الشعبوية في التعليم الباديسي إلا أن الواقع كان شيئا آخر، فابن باديس كما أخبر عنه تلميذه محمد الحسن الفضلاء في مقدمة كتابه " العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية" :أن هذه الدروس كانت تقدم لقسم من الأقسام ،وأستاذنا الإمام كان لا يسمح لغير طلبة العلم الخاص بالحضور ،والساعة التي تقدم فيها هذه الإملاءات كانت فارغة بالنسبة لبرنامجي اليومي ،ومع تطلعي للمعرفة، وشغفي بالمزيد منها ،وشدة تعلقي بالأستاذ بحث كنت أتمنى ألا تفوتني كبيرة منه وصغيرة لو وجدت إلى ذلك سبيلا،لذلك عمدت إلى حيلة طريفة توصلت بها إلى تسجيل هذا الكتاب وحضور جميع حصصه متسلسلة من أولها إلى آخرها،كنت أصعد إلى سدة الجامع ،ومعي الزميل

[12] الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره ،ج2،مج3،ص225،226.

الأستاذ بلقاسم الزغداني رحمه الله الذي أجده أحيانا قد سبقني إليها معتمدا على نفس حيلتي، فأنبطح وإياه على أرضية السدة، متجهين لمصدر الصوت ،فنتلقى الدرس ونكتبه .... على أن الأستاذ قد فطن للحيلة وشكر المسعى.[13]

فمن هذه القصة المنقولة عن تلامذة ابن باديس نبصر بجلاء

- وعيه بالفروق الفردية فليس كل الناس مؤهلون لتعلم كل العلوم بالطريقة نفسها ،واسيعابها واستثمارها بالشكل الصحيح.
- إيمان ابن باديس بالتكوين المتخصص فكل مجموعة كانت لها برنامجها الخاص المدروس بعناية ويويتسم بصفة الشمولية والتكاملية التي تؤسس لعالم مختص في مجال بعينه.
- نستقي من هذه القصة هذا الود العلمي والأخلاقي بين ابن باديس والمنتسبون لمدرسته،وذلك الشغف العظيم للارتشاف من معينه.
- قبول ابن باديس الضيفين الغريبين عن الصف وشكره مسعاهما إشارة إلى مرونته في التعامل مع الطلبة.كما توحي بإختراامه رغبة طلبته في النهل من تخصص غير تخصصهم واستقبالهم تحقيقا لرغبتهم، فالراغب في العلم بإمكانه النبوغ فيه وبلوغ مرامي لم يبلغها المختصون فيه أصلا.

✓ **العلوم النقلية والعلوم العقلية:**

يعد ابن باديس معلم العلم الشرعي الأول في الجزائر بعد عوته من المدينة واتفاقه والبشير الابراهي على فكرة الإصلاح بالعودة إلى الفهم الصحيح للقرآن الكريم. من هنا انطلق في استثمار أدوات متعددة في الدعوة بدءا بالدروس المسجدية فالنشر في الصحف و النوادي والمدارس التعليمية للصغار والكبار وللبنين والبنات .

والمواد التي يتلقاها الطلبة في الجامع الأخضر هي : التفسير والحديث والفقه والفرائض والعقائد والأدب والمواعظ والتجويد والأصول والمنطق والنحو والصرف والبلاغة والأدب ووالمحفوظات والمطالعة والإنشاء والحساب والجغرافيا والتاريخ.

---

[13] العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والسنة النبوية:إملاءات عبد الحميد بن باديس .تعليق وتحقيق :محمد الحسن فضلاء.دار البعث،قسنطينة،الجزائر،ط1،1985،ص9،10.

إذن تنقسم هذه المواد إلى مواد شرعية وغير شرعية ، تسهم في تكوين شخصية علمية متوازنة ومتكاملة، ويعتمد في برنامجه على النقل والعقل معا، فاقصاء النقل ضرب من الجنون ولا يمكن أن ينطلق المتعلم من عقله في حركة العلم دون الاستناد بدءا على ما قدم فيه سابقوه ونظروا، وعرصه على القرن والسنة إن كان موافقا لما جاء فيهما وإن كان في باب الاجتهاد فليعمل عقله وفكره وليتدبر انطلاقا من القياس والموازنة والاستقراء والاسنباط وغيرها من العمليات العقلية التي تؤسس للعلوم الجديدة والأفكار الجديدة النافعة.

- ✓ **التنظير والتطبيق:**

يقول في هذا الباب أحمد حماني:" لم يكن الشيخ أسير التقليد في تفكيره ولا في تفسيره ولا في سلوكه، وإنما كانت له شخصيته القوية واستقلاله الكامل، فكان له منهاجه الخاص به في التأويل وأسلوبه في الكتابة والإلقاء، وطريقته في الاستنتاج والاستنباط وفي الفهم والتفهيم وفي القيادة والتدبر، وله إيمان بالله يهتدي بهديه، وغايته من وراء الدعوة والتذكير بالقرآن يسعى إلى تحقيقها."[14]

إن أهم ميزة في رأيي تميز فكر ابن باديس المعلم هي تجاوز التنظير إلى التطبيق العملي الفعلي والمزاوجة بين العلم والعمل ولا يذكر ابن باديس العلم قطعا وإلا أردفه بالعمل، لأنه يرى في العلم دون عمل تقصيرا أخل بأركان الأمة فأصابها العرج مذ تخلت عن الفهم الصحيح للقرآن الكريم ومقاضده والعمل بها وتفعيلها في كل مناحي الحياة.

- ✓ **توظيف القصة القرآنية وسيلة تعليمية:**[15]

لجأ ابن باديس إلى القصة القرآنية في سلسلة من المقالات، يأخذ منها العبرة ويرصد من جزئياتها اسقاطات على الواقع، ففتح تصورات جديدة للمجتمع الجزائري، غائبة في الوضع الراهن على كل الساحة العربية والدول الإسلامية، ومن هذه القصص قصة سيدنا سليمان والهدد وقصته وبلقيس، وقصته والنمل.

فزهد الجزائريين في الحياة وقعودهم عن الأخذ بالأسباب بحجة أن المسلم ضعيف وفقير ومسالم وخاضع للأمر المفروض عليه، كل هذه المعطيات السلبية التي سيطرت على العقل الجزائري بعد سنوات من الفهم

---

[14] الثمر الداني من محاضرات الشيخ أحمد حماني1915-1998: جمعها أبو أسامة عمر خلفة. دار الفجر، 1432هـ -2011م، ط1، ، ص420.

[15]تفاعل الحقول النحوية الدلالية في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،ص279.

الخاطئ لكتاب الله عز وجل والغفلة عن مقاصد الشريعة، ستجعله يشعر بحالة من الصدمة وهي أنه لا تعارض بين الغنى والقوة والإيمان الصادق بالله والخضوع لأمره.ولا أدلّ على ذلك أفضل من نبي ملك. ويبين ابن باديس أن العظة المستقاة من الآية **[وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ]** [النمل 16]، هي ترغيب لنا في طلب العلم والسعي في تحصيل كل ما بنا حاجة إليه من أمور الدنيا، وتشويقا لنا إلى ما في هذا الكون من عالم الجماد وعالم الأحياء، وبعثا لهممنا على التحلي بأسباب العظمة من العلم والقوة، وحثا لنا على تشييد الملك العظيم الفخم على سنن ملك النبوة."

كما ربط بين القوة والعلم، فالعلم قوة في ذاته تبنى به الأمم وتسود به الممالك، وقلل من قيمة السيف أمام العلم، تنزيلا لقوله تعالى **[وَلَقَدْ آَتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ]**(النمل15)

"فأما الممالك التي تبنى على السيف بالسيف تهدم، وما يشاد على القوة فبالقوة يؤخذ. وإنما أعلى الممالك وأثبتها ما بني على العلم وحمي بالسيف، وإنما يبلغ السيف وطره ويؤثر أثره إذا كان العلم من ورائه."[16]

والدعوة إلى الاقتداء بأنبياء الله – داوود وسليمان– في علمهم وقوتهم وملكهم وإيمانهم. مقدما صورة للحكم والملك مغايرة تماما لتلك التي تمثلها الدول المسيطرة في العصر الحديث حتى تجسد في عقول الناس أنّ القوة ظلم، وأنّ الحاكم متجبر، وأن بناء الأمم القوية لا يكون إلا بالسطو على حقوق الضعفاء.

5. صفات المعلم النموذجي في مشروع ابن باديس التعليمي:

وقد كانت لابن باديس طريقة متميزة في التعامل مع طلبته " تتجلّى في تلك الصلة الروحية المتينة التي تنشأ بين الأستاذ وتلاميذه، فقد كان يعاملهم معاملة خاصة من الحنان والحرص على مستقبلهم والتوجيه السليم لكل واحد منهم مما أنشأ بينه وبينهم رابطة قوية كان أساسها هذا النفوذ الروحي الذي أثر به على كل من تتلمذ عليه أو حضر دروسه.أو تابع محاضراته في نادي الترقي بالعاصمة ونادي

[16] مجالس التذكير ،مج2،ص.

صالح باي في مدينة قسنطينة.[17] المعلم المحب المظهر لحبه،المعلم المحفز ،المعلم المقدر لجهود طلبته في حدود إمكانياتهم، المعلم دائم التوا صل مع طلبته.

فالمعلم في منظومة ابن باديس التعليمية مختلف تماما عن المعلم في طريقة التلقين مثلا، فهو مشارك للمتعلمين أهدافهم ومسارهم وطريقهم نحو التعلم الذاتي الموجه بإشراف المعلم الذي يتقلد دور الموجه. ولا يتأتى للأستاذ تمثل هذا الدور إلا إذا استطاع بناء علاقة تواصلية طيبة تقوم على الحب وعلى الاحترام والتقدير لجهود المتعلم بتثمينها وذكرها والاعتزاز بها .وفتح قنوات التواصل مع المتعلمين والتقرب منهم بالعبارات الودية التي تكسر جفاف العلاقة معلم ـ متعلم وهذا نهج خير المعلمين وأولهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن الشواهد على هذا المبدأ الذي تبناه ابن باديس في علاقته مع المتعلمين رسالة تحية وشكر نشرت في الشهاب سبتمبر 1935م، ردا على رسائل طلبته في عطلتهم الصيفية وهم ينقولون له نشاطاتهم في مناطقهم ، جاء في مضمونها: تحية شكر إلى أبنائي الطلبة .... جاءتني كتبكم وأفادتني مايسرني ويسر كل محب للعلم من استمراركم على الجد في مراجعته والترغيب فيه ونشر الهداية ـ كل بما استطاع ـ بين قومه وعشيرته وقد ضاق وقتي عن مكاتبتكم واحدا واحدا فكاتبتكم بهذا على صفحاتكم مجلتكم شاكرا لكم حسن عهدكم وصدق مودتكم سائلا من الله تعالى أن يجمع قلوبنا على الحق وأعمالنا على الخير ..... والسلام من أبيكم "

- هذه العلاقة المميزة بين ابن باديس والطلبة التي تجسدت في الأبوة والبنوة أولا
- التصريح بهذه العلاقة المميزة في الصحف
- استمرارية التواصل خارج المدرسة وعدم انقطاعه بتباعد المسافات
- مراعاة قدراتهم وإمكاناتهم وعدم تحميلهم مالا طاقة لهم به
- تحفيزهم والتركيز على مابذلوه من نفع وإظهاره لتعزيزه .

6. صفات المتعلم الناجح:

✓ **من آداب المتعلم حسن التلقي وطلب المزيد**" فجاءت على النحو الآتي: "ما أكثر ما رأينا من

[17] الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهظة الإسلامية العربية في الجزائر: ص170.

قطعهم ما حصلوا من علم عن العلم، فوقف بهم عندما انتهوا إليه فجمدوا، وأكسبهم الغرور بما عندهم فتعظموا، وتكلموا فيما لم يعلموا فضلوا وأضلوا، وكانوا على أنفسهم وعلى الناس شر فتنة وأعظم بلاء.فبمثل هذه الآية الكريمة يداوي نفسه من ابتلي بهذا المرض فيقلع عن جموده وغروره، ويزداد مما ليس عنده ممن عنده علم ما لم يعلم.

- ✓ ويحذر من أن يقف عن طلب العلم مادام فيه زمن من الحياة، ويقتدي بهذا النبي الكريم ﷺ، فلن يزال يطلب من الله تعالى أن يزيده علما، ما ييسر له من أسباب، وما يفتح له من خزائن رحمته، وما يلقيه في قلبه من نور، وما يجعل له من فرقان، وما يوفقه إليه من أصل ذلك كله، وهو تقوى الله والعمل بما علمه.فنسأل الله لنا وللمسلمين العلم النافع والعمل الصالح، فهو ولي الهداية والتوفيق."[18]
- ✓ فيشترط له التحليق بجناحي العلم الدنيوي والثقافة الإسلامية معا، فيستطيع خدمة مجتمعه ولا يكون تابعا للغرب ومنبهرا بحضارته ومزدريا لمجتمعه وحاله التي آل إليها.ويمثل ابن باديس لنماذج استطاعت التوفيق بين الأمرين ويفتخر بفعلهم في المحافل، فيقول في أستاذه البشير صفر "إنه رجل بنى ما أخذه من العلوم باللغات الأجنبية على ثقافة إسلامية عربية، وبذلك استطاع أن يخدم أمته وأن يحتل قلبها."[19]
- ✓ الاعتراف بالفضل للآباء والمعلمين فيما بلغه المتعلم من علم ومعرفة ،وقد أرجع الفضل في نبوغه هو إلى والده فيقول" إن الفضل يرجع أولا إلى والدي الذي رباني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة ورضي العلم لي طريقة...."[20] من الأمور التي أرجع ابن باديس إليها الفضل في تكوينه وبلوغه هذا الشأن إضافة إلى والده وشيوخه فقد خصّ أحد هؤلاء الشيوخ بالذكر واعترف له بالجميل وهو الشيخ حمدان لونيسي القسنطيني – الذي تتلمذ مباشرة للشيخ عبد القادر لمجاوي – فقد كان محطة فارقة في مسار عبد الحميد بن باديس وكان له أثر بالغ في تربيته وفي مشواره العلمي والعملي، فيقول فيه:"وإني لأذكر

---

[18] مجالس التذكير: مج1، ص386-387

[19] آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج4، ص317

[20] لإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره: إعداد وتصنيف عمار طالبي. عالم المعرفة، الجزائر، دار ابن حزم، لبنان،2014م، ط1، ج1، مج2، ص138

للأول –حمدان لونيسي– وصية أوصاني بها وعهدا عهد به إليّ وأذكر ذلك العهد في نفسي ومستقبلي وحياتي وتاريخي كله فأجدني مدينا لهذا الرجل بمنة لا يقوم بها الشكر، فقد أوصاني وشدد عليّ أن لا أقرب الوظيفة ولا أرضاها ما حييت ولا أتخذ علمي مطية لها كما كان يفعله أمثالي في ذلك الوقت." [21]

الخاتمة:

1. **أسس ابن باديس وعلماء جمعية العلماء المسلمين منظومة تعليمية متكاملة قوامه الفهم الصحيح للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وإعمال العقل بالتفكر والتدبر والدعاء بالتوفيق، فتكون من هنا الانطلاقة لا الغاية، فالغاية هي بلوغ السعادة الدنيوية والأخروية حين يفلح الفرد في تفعيل تعاليم القرآن على أرض الواقع فيبني أمة إسلامية تحلق بجناحي العلم الدنيوي والأخروي على حد تعبير ابن باديس نفسه.**
2. **حرص ابن باديس على مشاركة المتعلمين هدفه من التعليم وقد نشر في هذا الباب خطبة رائعة مميزة عنونها لمن أعيش أنا؟ بغية تقريب الرؤى بينه وبين التلاميذ والمتلقين عموما وتذكيرهم بأهدافهم السامية في كل مرة لزيادة تحفيزهم وتشجيعهم.**
3. **القدوة الحسنة ضرورية في تحقيق أهداف التعليم والحب المتبادل بين المعلم والمتعلم وأسوته في هذا خير البرية وخير معلم فيهاصلى الله عليه وسلم.**

قائمة المصادروالمراجع:

1. الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره: إعداد وتصنيف عمار طالبي. عالم المعرفة، الجزائر، دار ابن حزم، لبنان،2014م، ط1.
2. التدريس الفعال: عفت مصطفى الطنطاوي.دار المسيرة،عمان، ط3، 2013م.

[21] الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج1، مج2، ص139.

3. التعليم الفعال والتعلم الفعال: إبراهيم مهدي الشلبي .آراء في التدريس وأدوار المعلم ومساندیه والأسرة في تحقيق التعليم الفعال، مطبعة المعارف،بغداد، العراق.
4. تفاعل الحقول الدلالية النحوية في مجالس التذكير :سارة بوفامة. رسالة دكتوراه تخصص لغة عربية ودراسات قرآنية، كلية الآداب والحضارة الإسلامية ،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.
5. تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: عبد الحميد بن باديس.اعتنى به وخرج أحاديثه وآثاره أبو عبد الرحمن محمود. دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر،1432هـ-2011م، ط2.
6. الثمر الداني من محاضرات الشيخ أحمد حماني1915-1998: جمعها أبو أسامة عمر خلفة. دار الفجر، 1432هـ -2011م، ط1.
7. دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على اللغة العربية وأثره في الهوية اللغوية
8. الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهظة الإسلامية العربية في الجزائر: تركي رابح عمامرة. موفم للنشر، الجزائر، 2003، ط2.
9. العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والسنة النبوية:إملاءات عبد الحميد بن باديس .تعليق وتحقيق :محمد الحسن فضلاء.دار البعث،قسنطينة،الجزائر،ط1985،1.